" الجهود التربوية لبعض علماء الحديث "

أ / عائشة بنت عامر السفياني

- **مستخلص الدراسة** :

هدفت هذه الدراسة إلى البحث في جهود علماء الحديث التربوية ، وإبرازها وبيان أثرها على العملية التربوية في عصر العلم وذلك في المجالات التالية : التأليف التربوي، التدريس بناء المدارس ودور العلم. وقد تحدد موضوع الدراسة من خلال الإجابة عن سؤالها الرئيس التالي: ما الجهود التربوية لعدد من علماء الحديث عبر عصور الإسلام المختلفة ؟. وقد استخدمت الباحثة المنهجين الوصفي والاستنباطي. حيث شملت الدراسة تمهيد عن: مدرسة المحدثين : ظهورها أهدافها ، أدوارها التربوية . كما شملت المبحث الأول : جهود بعض علماء الصحابة : عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، و أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما. والمبحث الثاني : جهود بعض علماء الحديث في المشرق الإسلامي : الإمام البخاري الخطيب البغدادي ، الإمام الذهبي ، ابن حجر العسقلاني . وكان من أهم النتائج: تأسيس أول مدرسة فكرية تقودها امرأة في العالم الإسلامي ،وقد أسستها أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . أن مدرسة أم المؤمنين عائشة كان روادها من النساء والرجال وهو ما يعد تأسيسا لقاعدة جواز تلقي العلم على يد النساء. تزعم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تأسيس مدرسة الاجتهاد في ضوء الكتاب والسنة ،والتي عرفت فيما بعد بمدرسة الرأي ووضع لهذه المدرسة أسسا رصينة من الكتاب والسنة. نجح ابن مسعود في تأهيل طلابه للوصول لمستوى أهداف هذه المدرسة الوليدة في العالم الإسلامي ، واستطاع تلاميذه تطبيق الأسس التي تعلموها على يديه في واقع الحياة مما كان له أبلغ الأثر في ذيوع صيت هذه المدرسة. أبدع البخاري في تأليف كتاب تربوي معني بالأخلاق بالاعتماد على جمع نصوص السنة المتعلقة بذات الموضوع في مكان واحد وهو جهد تربوي مبتكر في عمر التربية الإسلامية في وقته ،وقد جرى على سيرته عدد من العلماء فيما بعد. قدم الإمام الذهبي رؤية نقدية لأحوال التربية والتعليم في عصره بشكل عميق ودقيق استشعر جوانب القصور والخلل التي أدت إلى الجمود والتراجع العلمي والتربوي في ذلك العصر وقدم حلول وآليات صاغها بمقاييس وخبرات أهل عصره . أبدع ابن حجر في طرق التدريس وابتكر من الأساليب ما لم يكن معهودا قبله مما جعل حلقاته قبلة لطلاب العلم .

- **مقدمة** :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إله إلا الله إله الأولين والآخرين الذي لا فوز إلا في طاعته ولا عز إلا في التذلل لعظمته ولا صلاح للقلوب ولا فلاح إلا في الإخلاص له، والصلاة والسلام على خير مرب جعله الله هاديا وداعيا إلى الخير يضيء للأمة طريقها فمن سلك طريقه فاز وأصاب ومن سلك غير ذلك خسر وخاب.

يزخر تراثنا الفكري الإسلامي بإنتاج علمي غزير ، وعمل تعليمي وتربوي كبير بذلة جهابذة العلماء المسلمين على تنوع اهتماماتهم ،وتخصصاتهم ، و هي مرحلة حضارية هامة ومؤثرة ليس فقط في عمر الأمة الإسلامية ، وإنما في مسيرة الحضارة العالمية برمتها ، حيث تمثل تلك المرحلة وبلا منازع مرحلة التأسيس والتدشين لمرحلة علمية وفكرية جديدة في تاريخ البشرية ،حيث شكلت نقلة نوعية كبيرة في نوعية العلوم ، ومناهجها ، و في المنجزات العلمية الفاصلة التي حققتها ، ويكفي في ذلك أن عصر النهضة العلمية المعاصر مدين لتلك المرحلة بشكل تام ،وقد شهد بذلك الأعداء .

من بين تلك الجهود ،و في ثنايا ذلك العطاء العلمي الفذ ، نلقي الضوء على المجال التربوي في تلك الحقبة الزاهرة من تاريخ الأمة ، لنتعرف على طبيعة هذا المجال ،ومقدار العناية التي لقيها ، والتطوير والإضافات التي حققها العلماء في هذا المجال .

ولكون العلماء في تلك العصور كانوا بالأساس علماء موسوعيين ، فإننا قد نجد عالم الفيزياء تربويا ،وعالم الطب كذلك له اهتمامات تربوية، وربما الفلاسفة ،واللغويين والعلماء الشرعيين ،وهكذا نجد أن التربية كانت هما للجميع ، ولم ينفرد للاهتمام بها منفردة أحد ، وقد تنوعت اهتمامات هؤلاء العلماء بالتربية ما بين أفكار تربوية مبثوثة في مؤلفاتهم بحيث تستنبط استنباطا ،وإما أن يفردوا لها مؤلفات خاصة تعنى بها .

وفي هذه الدراسة ستتناول الباحثة الجهود التربوية لفئة من العلماء كان لهم نصيب الأسد من العناية بالتربية والموضوعات التربوية عموما ، واهتمامهم بالتربية ربما يرجع لطبيعة مجالهم العلمي الذي يتعامل بشكل مباشر مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،والذي يمثل دستورا تربويا متكاملا ، إذن فمن المنطقي أن يكون كل محدث تربوي ،لاسيما في ذلك العصر الذي لم تتبلور العلوم والتخصصات بالشكل الحاصل اليوم .

ويحسن القول هنا أن جهود علماء الحديث التربوية تكتسب أهمية بالغة ترجع إلى أمور ، منها :

- أن جهودهم وآراءهم التربوية في الغالب استنباطات مباشرة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وبالتالي فإنها في قسم كبير منها تعتبر جهود مؤصلة ذات سمات إسلامية خالصة .
- أن تلك الجهود والآراء التي كنت باجتهاد شخصي تخرج من عالم خبُر الكتاب والسنة وأدرك مقاصدهما مع بعد عن التأثر بفلسفات وثقافات أخرى،وهو ما يعطيها أصالة وقيمة إضافية كافيه لاستمرارية فائدتها وصلاحيتها للتطبيق في عصرنا الحاضر ، لاسيما إذا استبعدنا المؤثرات البيئية ،والعوامل المتعلقة بطبيعة العصر الذي تكونت فيها ، فإذا ما درست و حللت من جميع الجوانب واستبعد منها ما كان مختصا بتلك العصور وطبيعتها الفكرية والاجتماعية لأمكن لنا أن نستخرج تراثا تربويا غنيا لإثراء فلسفتنا التربوية الإسلامية المعاصرة .

- **أهداف الدراسة** :

تهدف الدراسة الحالية إلى أمرين :

١- البحث في جهود علماء الحديث التربوية ،وإبرازها ،وبيان أثرها على العملية التربوية في عصر العالم وذلك في المجالات التالية :

- التأليف التربوي
- التدريس .

- بناء المدارس ودور العلم .

٢- ربط تلك الجهود بأمرين : بالمصادر الأصلية في دين الإسلامي وهي الكتاب والسنة ، ثم ربطها بمعطيات التربية الحديثة من حيث التوافق والاختلاف .

وقد تم اختيار العلماء في فترات زمنية مختلفة ،وفي مواقع جغرافية مختلفة أيضا ، رغبة في بيان التنوع الفكري لدى علماء الحديث ، ولكي نرى التطور الفكري لدى هؤلاء العلماء عبر العصور المختلفة .

- **أسئلة الدراسة** :

تجيب هذه الدراسة على سؤالين رئيسين :

١- ما الجهود التربوية لعدد من علماء الحديث عبر عصور الإسلام المختلفة ؟

٢- ما مدى ارتباط تلك الجهود بالقرآن الكريم والسنة النبوية ؟

٣- هل كانت تلك الجهود تلتقي مع معطيات التربية الحديثة في شيء ؟

- **مصطلحات الدراسة** :

تتناول هذه الدراسة المصطلحات التالية :

١- **الجهود التربوية** : والمراد بها في هذه الدراسة : تلك الجهود التي قام بها علماء الحديث من أجل إثراء العملية التربوية بشكل عملي وليس فكريا فقط وتنحصر في المجالات التالية : التأليف في التربية بشكل منفرد ، التدريس ، إنشاء المدارس .

٢- **علماء الحديث** : وهم العلماء الذي عنوا بشكل خاص بدراسة الحديث النبوي واشتهروا به دون غيره من العلوم ، جمعا وحفظا وتدريسا وتصنيفا ونقدا وذلك في مجالي الرواية والدراية معا .

- **محاور الدراسة** :

تضم هذه الدراسة تمهيد ومبحثين وخاتمة :

التمهيد : مدرسة المحدثين : ظهورها ، أهدافها ، أدوارها التربوية .

المبحث الأول : جهود بعض علماء الصحابة :
- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
- أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

المبحث الثاني : جهود بعض علماء الحديث في المشرق الإسلامي :
- الإمام البخاري .
- الإمام الذهبي .
- ابن حجر العسقلاني .

خاتمة الدراسة .

- **تمهيد : مدرسة المحدثين : ظهورها ، أهدافها ، أدوارها التربوية**
- **ظهور هذه المدرسة :**

ظهرت عناية المسلمين بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، فقد كان الصحابة يعنون بحفظ ما يسمعونه منه في كل أحواله ، ومنهم من اشتغل بتدوينه مثل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أما السواد الأعظم من الصحابة فكانوا يعتمدون على الحفظ ، وقد اشتهر منهم أبو هريرة وعائشة ، وأنس بن مالك ،وعبد الله بن عمر ، جابر بن عبد الله ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم كثير .

ولما توفي صلى الله عليه وسلم استمر الوضع بالاعتماد على الرواية الشفوية حتى جاء حكم عمر بن عبد العزيز ، فأمر جمع من العلماء وعلى رأسهم أبو شهاب الزهري بجمع السنة وتدوينها ، وكانت تلك البداية ، تلاها عناية العلماء بالتصنيف ومن أوائل من صنف الإمام مالك بن أنس في كتابه الموطأ والذي رتبه على أبواب الفقه .

وقد برزت في هذه الفترة من بدايات القرن الثاني الرحلة في طلب الحديث حيث جرد عدد كبير من طلبة العلم أنفسهم لجمع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم من خلال الرحلة إلى كل من عرف عنه سماع أو رواية للحديث .

- **الأهداف العامة للرحلة في طلب العلم:**

كانت أهداف الرحلة في طلب العلم للسماع والرواية وطلب الدروس والتزود بالعلم على يد أشهر العلماء وإن كان هذا الدرس قد لازمه في حينه النقل عن المسندين أي من يروى الحديث الشريف بسنده .(١)بطريقة أو بأخرى عن طريق التحمل كالسماع والقراءة والإجازة التي كان يحصل عليها طالب العلم كإذن يخول له بعدها أن يروي عن الشيخ والمناولة والمكاتبة والإعلام والوصية والوجادة (٢). وقد أورد أحد المؤرخين القدماء نصا يدل على أهمية الرحلة في طلب العلم وسماع الحديث الشريف قائلا: "وقد استغرق الناس همم العلماء في رحلتهم لنقل الحديث وسماعه والموالاة في طلب العلم ثقته وانتجاعه وصنفوا في ذلك تصانيف قصدوا بها التحريض للهمم والتنبيه والرفع من أقدار أهله والتنويه فقالوا: رحل فلان لسماع مسند فلان وسار زيد إلى عمرو على بعد المكان، هذا وصاحب الرحلة قد نصب نفسه للعلم وشغل به دهره ووقف عليه فكره فلا يتجاذب عنان همته الكبائر، فما القول في ملك خواطره كأبوابه مطروقه وأمور خلق الله كأمور دينه به معذوقة، إذ هاجر إلى بقية الخير في أضيق أوقاته وترك للعلم أشد ضروراته ووهب له أياما معه أنه في الغزاة يحاسب لها نفسه على لحظاته وساعاته" (٣) وقد ذكر أن أحد العلماء كان يفضل الرحلة للسماع على سائر النوافل، ولم يقف الأمر إلى هذا الحد من التفضيل للرحلة في طلب العلم بل تعداه إلى أنه كان يأمر طلابه وتلامذته بالسفر إلى المشايخ والفقهاء والمحدثين بالبلدان الأخرى في العالم الإسلامي خاصة إذا لمس هذا العالم من

---

(١) محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، ص ١٧

(٢) صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ص ٨٨-١٠٤.

(٣) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين. ج١، ص ٢٤-٢٥.

طالبه الشغف والروح التواقه لطلب العلم (١) والرحلة في طلب العلم ظاهرة فكرية لم يتفرد بها مصر إسلامي بعينه دون سائر الأمصار الإسلامية، بل كانت ظاهرة عامة تحدث من وإلى كل مصر من أمصار العالم الإسلامي في المشارق وفي المغارب.

تلا ذلك مرحلة العناية بتنقية السنة وتطهيرها من كل دخيل نظرا لكثرة الفتن وظهور الفرق الضالة مما أدى لظهور وضاعين يضعون الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نصرة لمذهبهم

ففي البداية كانت هُويَّة رجال الإسناد مدارَ البحث لدى أئمَّة الحديث وصيارفته، وكان الفيصلُ بَين مَن تُقبَل روايته ومَن تُردُّ: مجانبة البدع، واجتنابَ الكذِب؛ لذا فلم يكن آنذاك ثمة لقبٌ لراوي الحديث يُعرَف به، وكان خلوُّ ساحتِه من هاتين التُّهْمتين دليلا كافيًا يُعتمد في قبول روايته؛ قال محمد بن سيرين: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعَتِ الفتنة، قالوا: سمُّوا لنا رجالكم فيُنظر إلى أهل السُّنة، فيُؤخذ حديثُهم، وينظر إلى أهل البدع، فلا يؤخذ حديثهم".(٢)

ثم تلتْ هذه المرحلةَ بدايةُ ظهور عبارات توثيق وتجريح المحدِّثين، بعد أن اختمرتْ قواعدُ تحمُّل الرواية، غيرَ أنها افتقرتْ في البداية إلى عرف اصطلاحي تتَّكئ عليه، فاختلفت مفرداتها عند هذا وذاك، بيدَ أنها كانت تدور حول تأسيس دائرة الرجال الثقات، وتمييزهم عن الضعفاء والمتروكين، بعدها بدأت دلالة العبارات تنضج تدريجيًّا، فأدخل صيارفة الرجال في حدودها شروطًا إضافيَّة؛ لتعريف مقومات العدالة لدى الراوي، وتمييزه عن رجال مرتبته، أو المراتب الأخرى؛ لذا فقد نجم عن هذه الشروط الجديدة أنْ ظهرتْ على ساحة نقد الرجال معاييرُ ومفرداتٌ جديدة؛ كالحفظ، والإتقان، وغيرها من المعايير.(٣)

وهكذا ظهر علم الجرح والتعديل ومعرفة الرجال ،وظهرت تصانيف الأحاديث من بين صحيح وضعيف وحسن .

ولقد استمرَّتْ دائرة عبارات التوثيق والتجريح في النموِّ؛ لظهور عباراتٍ جديدة على ساحة علم الجرح والتعديل، إضافة إلى ازدياد تعقيدها؛ نتيجة لاعتماد معاييرَ أكثر تخصيصًا، عند صياغة تعريف الثقات المتقنين، كذلك بدأتْ بنية عبارة التوثيق تمتدُّ، حتى أضحتْ تتألف من مجموعة ألفاظ، تومئ بمجموعها إلى مرتبته لدى أئمَّة الشأن، فامتلأتْ كتب الرجال وطبقاتهم بعبارات، صِيغَ بعضُها في بدايات ظهورها، وأخرى في عصور لاحقة، فتشابكتْ دلالاتها باختلاف النقاد والعصر الذي ظهرتْ فيه، فلكل عبارة دلالة يحدِّدها مُورِدُها، والبنية اللغوية والاصطلاحيَّة التي تتألف منها.

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان في تاريخ أهل الزمان، ج ١، ص ٢٣.
(٢) "شرح صحيح مسلم: ١/ ١٥"، "الكفاية: ١٢٢".
(٣) موقع الألوكة الإلكتروني ، عبارات توثيق الفئة الأولى من المحدثين الثقات

وما يعنينا هنا هو أن رواد هذه المدرسة أصبحوا معنيين بشكل كبير بطرق التعلم والتعليم ، وآداب الطلب ، وشروطه ، وبداية سن الطلب ،غير ذلك من الأمور المتعلقة بالتربية والتعليم في شكله التنظيمي ومن أشهر المؤلفات في هذا المجال : كتب الخطيب البغدادي والتي سيأتي الحديث عنها ، كذلك كتاب ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله وكتاب الذهبي زغل العلم والطلب وغيرها الكثير .

- **الميادين التي تناولتها كتابات مدرسة المحدثين** :

تركز الفكر التربوي عند مدرسة المحدثين والفقهاء على حد سواء في معالجة الميادين التالية : (١)

- فلسفة التربية والتعليم .
- التعلم وقوانينه .
- إنكار التقليد والدعوة لحرية الفكر .
- محاولة تحقيق التكامل في المناهج بين الفقه والحديث .
- المنهاج وميادينه .
- الدعوة للانفتاح على الآخرين .

- **أدوارها التربوية** :

لعبت مدرسة المحدثين مع غيرها من المدارس الأخرى مثل مدرسة الفقهاء أدوارا تربوية هامة وحاسمة ، تمثلت في التالي :

- حفظ العلوم الشرعية وتدوينها .
- الرد على الأفكار الغالية والمنحرفة والدخيلة على الفكر الإسلامي .
- تأليف المختصرات والكتب المبسطة (الأجزاء) لطلاب العلم المبتدئين .
- نشر العلم الشرعي والتوسع في حلقات العلم ،وبذل العلم احتسابا .
- تأليف الكتب التي تنظم عملية التعلم والتعليم ،وتبرز أهدافها ، وآدابها ومتطلباتها .

- **المبحث الأول** : **الجهود التربوية لبعض علماء الصحابة** :

- **تمهيد** :

قد يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده ، ما سبب ذكر بعض الصحابة في دراسة تتناول الجهود التربوية للعلماء المسلمين ؟ على اعتبار أن الصحابة لا يصنفون من ضمن هؤلاء وإنما لهم تصنيفهم الخاص . والجواب عن ذلك يأتي من وجوه:

- أن الحديث هنا عن جهود تربوية لعلماء مسلمين ، ولا يختلف اثنان أن الصحابة ولاسيما الكبار منهم هم أعلم علماء المسلمين .
- في جيل الصحابة ذاته تمايز الصحابة ما بين علماء كبار ودون ذلك فالخلفاء الأربعة لهم الصدارة في العلم والمكانة ، والعبادلة الأربعة من أعلم الصحابة.. وهكذا نجد تفاضل ودرجات فيما بينهم .
- أما كون موضوع هذه الدراسة يتناول المحدثين على وجه الخصوص ، فهذا أيضا لا يتنافى من كون بعض الصحابة اشتهروا برواية الحديث وأكثروا

(١) محمد حسن العمايرة ، الفكر التربوي الإسلامي ، ط١ ، دار المسيرة : عمان ، ١٤٢١هـ ، ص٦٨.

منه دون غيرهم مثل أبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وعائشة رضي الله عنهم جميعا .

- إضافة إلى ذلك فإن مدرسة الصحابة التربوية تعتبر المدرسة الرائدة في تطبيق الكتاب والسنة في واقع الناس ،وتربيتهم على مبادئ الدين الحنيف ففهم فلسفة هذه المدرسة من الضرورة بمكان ليتم دراسة ما بعدها في ضوءها .لذا كان لابد بالبدء من هذه النقطة تحديدا . وستتناول هذه الدراسة إثنان من أكابر الصحابة الذين عرفوا بالإكثار من رواية الحديث ،ويعدان من ضمن العلماء السبعة الكبار من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وهما أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ، و عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم جميعا .

- **الجهود التربوية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها** :

- **اسمها ومولدها** :

بنت الإمام الصديق الأكبر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية التيمية المكية النبوية أم المؤمنين زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أفقه نساء الأمة على الإطلاق .وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب ابن أذينة الكنانية. (١)

تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بسنة ونصف بكرا ولم يتزوج بكرا غيرها وبنى بها بالمدينة بعد منصرفه من غزوة بدر في شوال سنة اثنتين وهي بنت تسع سنين قال أبو بكر حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن أبيه قال قالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله لكل صواحبي كنى فلا تكنيني قال اكتني بابنك عبد الله بن الزبير فكانت تكنى أم عبد الله بن الزبير أخرج البخاري في بدء الوحي. (٢)

- **علمها ومكانتها بين الصحابة** :

قال الشعبي كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال حدثتني الصادقة ابنة الصديق حبيبة حبيب الله وقال أبو الضحى عن مسروق رأيت مشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض وقال عطاء بن أبي رباح كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا في العامة وقال هشام بن عروة عن أبيه ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علما وقال الزهري لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل وأسند الزبير

---

(١) محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، الطبعة : التاسعة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة - بيروت – ١٤١٣، ج٢ ص١٣٥

(٢) سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ، تحقيق : د. أبو لبابة حسين ، الطبعة : الأولى ، دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض ،١٩٨٦م ج٣ ص١٢٩١.

بن بكار عن أبي الزناد قال ما رأيت أحدا أروى لشعر من عروة فقيل له ما أرواك فقال ما روايتي في رواية عائشة ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا . وفي الصحيح عن أبي موسى الأشعري مرفوعا فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . (١)

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما أتاني الوحي في لحاف امرأة منكن إلا هي . وعن هشام عن صالح بن ربيعة بن هدير عن عائشة قالت أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه فقمت فأجفت الباب فلما رفه عنه قال يا عائشة إن جبريل يقرئك السلام صلى الله عليه وسلم .(٢)

- **وفاتها** :

ما حانت وفاتها رضي الله عنها ، استأذن عليها عبد الله بن عباس فأذنت له فلما أن سلم وجلس قال أبشري قالت بما قال ما بينك وبين أن تلقي محمدا صلى الله عليه وسلم والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد كنت أحب نساء رسول الله إلى رسول الله ولم يكن رسول الله يحب إلا طيبا وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله ليطلبها حين يصبح في المنزل فأصبح الناس ليس معهم ماء فأنزل الله أن تيمموا صعيدا طيبا فكان ذلك من سببك وما أذن الله لهذه الأمة من الرخصة فأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات جاء بها الروح الأمين فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيه إلا هي تتلى فيه آناء الليل والنهار فقالت دعني منك بابن عباس فو الذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسيا منسيا .(٣)

توفيت عائشة رضي الله عنها وأرضاها سنة سبع وخمسين وقال الواقدي توفيت عائشة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين ودفنت في ليلتها بعد الوتر وكذلك قال البخاري.(٤)

- **الجهود التربوية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها** :

من خلال السيرة الزكية لأم المؤمنين يظهر لنا الدور التربوي العظيم الذي قامت به ليس في جيل الصحابة فقط ولكن في الصحابة والتابعين ، ولم يكن تلاميذها من النساء وإنما من النساء والرجال ،والرجال أكثر ، ويتجلى دورها التربوية في النقاط التالية :

١- أنها تعد واحدة من علماء الصحابة السبعة الكبار :

وهم : عمر بن الخطاب ،علي بن أبي طالب ، عبد الله بن مسعود ، زيد بن ثابت عبد الله بن عباس ، عائشة بنت الصديق ، عبد الله بن عمر .

---

(١) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ط١، دار الجيل – بيروت ،١٩٩٢م ، ج٨ ص١٨

(٢) أحمد بن شعيب النسائي ، فضائل الصحابة ، ط١ ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ج١ ص٨٥ .

(٣) محمد بن سعد الزهري ، الطبقات الكبرى ، دار صادر : بيروت ، ج٨ ، ص٧٥.

(٤) أحمد بن محمد الكلاباذي ، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد ،ت: عبد الله الليثي ، ١٤٠٧هـ، ج٢(رجال صحيح البخاري ، ص٨٣٨.

قال عنها عبد المنعم الحفني :" كانت عائشة حجة الإسلام ،والداعية المجادلة والمنافحة والغازية والقائدة ، وكانت تؤصل للدين وترسخ لقواعده ، أقامت أول مدرسة في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،و كان الرجال يجتمعون إليها ويتلقون عنها ." (١)

بلغ عدد من تلقى عنها وتتلمذ على يديها أكثر من ٣٥٠ ما بين رجل وامرأة وروت من الأحاديث ما يقارب ٥٦٣٦حديث ، وهي بذلك تعد من أكثر الصحابة رواية للحديث بلا منازع ، وروى عنها كبار الصحابة قبل صغارهم .(٢)

٢- حلقاتها العلمية :

كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تعقد حلقات العلم في منزلها ، حيث يكون لها مجلسها ،وتسدل ستارا بينها وبين الرجال فيدخلون عليها ويتعلمون منها ، وربما كان لأقاربها من الرجال مزيد خصوصية وطول صحبة وملازمة من أمثال أبناء أختها أسماء بنت أبي بكر وهم : عبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير ، وهشام بن عروة بن الزبير وغيرهم ، وكذلك أبناء إخوانها

٣- حلقات النساء :

كانت رضي الله عنها تخص النساء بمجالس خاصة تعلمهن العلم الشرعي وتفقههن ، ومن خلال استقراء م كتب حول مجالسها العلمية المخصصة للنساء يظهر لنا أنها لم تكن تخص طالبات العلم فقط ،وإنما كانت لها مجالسها الخاصة التي تعقدها لعامة النساء بغرض تفقيههن وتعليمهن أمور الدين ،وتستخدم لذلك أبسط الأساليب وأقربها لفهمن .مع استخدام وسائل الإيضاح والبيان العملي(٣).

أما حلقاتها المخصصة لطالبات العلم فكانت لا تقل شأنا عن حلقات الرجال ومن أشهر تلميذاتها : زينب بنت أبي سلمه المخزومية ، خيرة أم الحسن البصري حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، عائشة بنت طلحة ، عمرة بنت عبد الرحمن ، معاذة العدوية ... وغيرهن كثير .

٤- المنهاج في حلقاتها العلمية :

برعت أم المؤمنين عائشة في علوم كثيرة ، فإضافة إلى فقه الشريعة ورواية الحديث النبوي ، كانت عالمة بالطب ،راوية للشعر العربي ، فصيحة ، بليغة قوية الحجة واضحة البيان ،وهذا ما جعل حلقاتها العلمية تستقطب الطلاب رجالا ونساء . فلا يخرج طالب العلم من حلقاتها إلا وقد أصاب من كل هذه العلوم بطرف .

٥- خصائص مدرستها الفكرية :

امتازت مدرستها بالاستقلالية ، والاجتهاد ، فقد كانت رضي الله عنها فقيهة مجتهدة من الطراز الأول ، وكانت لها استدراكاتها على كبار الصحابة من

---

(١) عبد المنعم الحفني ، موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ، ط١ ،مكتبة مدبولي : مصر ، ٢٠٠٣م ص٤

(٢) المرجع السابق ، ص٤- وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ، ص٢٠

أمثال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره ، كما أنها كانت الفيصل والحكم في المسائل التي يقع فيها الخلاف بين كبار فقاء الصحابة ، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه :" ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا فيه علما ". كما أنها كانت المصدر الأول للأحاديث التي كانت تحكي حال النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ومع أهله. والمتأمل لتلك الجهود العظيمة يجد أنها وبصدق أسست لأول مدرسة فقهية تتزعمها امرأة، ولم يحدث أن جارتها أي من نساء المسلمين إلى اليوم ، فرضي الله عنها وأرضاها .

- **جهود الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه**

- **اسمه ونسبه** :

هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، وكناه النبي . صلى الله عليه وسلم . أبا عبد الرحمن مات أبوه في الجاهلية، وأسلمت أمه وصحبت النبي . صلى الله عليه وسلم . لذلك كان ينسب إلى أمه أحيانا فيقال: (ابن أم عبد)... وأم عبد كنية أمه - رضي الله عنهما.(١)

- **إسلامه** :

يقول - رضي الله عنه- عن أول لقاء له مع الرسول - صلى الله عليه وسلم- : (كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبي مُعَيْط، فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر فقالا: (يا غلام، هل عندك من لبن تسقينا؟)... فقلت: (إني مؤتمن ولست ساقيكما)... فقال النبي - صلى الله عليه وسلم- : (هل عندك من شاة حائل، لم يَنْزُ عليها الفحل؟)... قلت: (نعم)... فأتيتهما بها فاعتقلها النبي ومسح الضرع ودعا ربه فحفل الضرع، ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعّرة، فاحتلب فيها فشرب أبو بكر، ثم شربت ثم قال للضرع: (أقلص)... فقلص، فأتيت النبي بعد ذلك فقلت: (علمني من هذا القول)... فقال: (إنك غلام مُعَلّم). (٢)

لقد كان عبد الله بن مسعود من السابقين في الإسلام، فهو سادس ستة دخلوا في الإسلام، وقد هاجر هجرة الحبشة وهجرة المدينة، وشهد بدرا والمشاهد مع الرسول - صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أجهز على أبي جهل، ونَفله رسول الله - صلى الله عليه وسلم- سيفَ أبي جهل حين أتاه برأسه.

وكان نحيل الجسم دقيق الساق ولكنه الإيمان القوي بالله الذي يدفع صاحبه إلى مكارم الأخلاق، وقد شهد له النبي - صلى الله عليه وسلم- بأن ساقه الدقيقة أثقل في ميزان الله من جبل أحد، وقد بشره الرسول - صلى الله عليه وسلم- بالجنة.

- **حفظ القرآن** :

أمر النبي - صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن مسعود أن يقرأ عليه فقال: (اقرأ علي)... قال: (يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟)... فقال - صلى

---

(١) محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ،مرجع سابق ، ص٤٦١.

(٢) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،ط٤ ، در الكتاب العربي : بيروت ، ١٤٠٥، ج١، ص١٢٥

الله عليه وسلم- : (إني أحب أن أسمعه من غيري)... قال ابن مسعود فقرأت عليه من سورة النساء حتى وصلت إلى قوله تعالى: {فكَيْفَ فكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِك عَلى هَؤُلاء شَهِيداً} ... (النساء - ٤١).

فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم - : (حسبك)... قال ابن مسعود: (فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان). (١)

كان ابن مسعود من علماء الصحابة - رضي الله عنهم- وحفظة القرآن الكريم البارعين، فيه انتشر علمه وفضله في الآفاق بكثرة أصحابه والآخذين عنه الذين تتلمذوا على يديه وتربوا، وقد كان يقول: (أخذت من فم رسول الله - صلى الله عليه . سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد)... وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم . (استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل)... كما كان يقول: (من أحب أن يسمع القرآن غضا كما أنزل فليسمعه من ابن أم عبد)... (٢)

قيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- : (استخلفتَ)... فقال: (إنّي إنْ استخْلِفُ عليكم فعصيتم خليفتي عذّبتُم، ولكم ما حدّثكم به حُذيفة فصدّقوه وما أقرأكم عبد الله بن مسعود فاقرَؤُوه). (٣)

وحين أخذ عثمان بن عفان من عبد الله مصحفه، وحمله على الأخذ بالمصحف الإمام الذي أمر بكتابته، فزع المسلمون لعبد الله وقالوا: (إنّا لم نأتِك زائرين، ولكن جئنا حين راعنا هذا الخبر)... فقال: (إنّ القرآن أنزلَ على نبيّكم - صلى الله عليه وسلم- من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وإنّ الكتاب قبلكم كان ينزل - أو نزل- من باب واحد على حرف واحد، معناهما واحد).

- **مكانته عند الصحابة** :

قال عنه أمير المؤمنين عمر: (لقد مُلِيء فِقْهاً)... وقال أبو موسى الأشعري: (لا تسألونا عن شيء ما دام هذا الحبْرُ فيكم)... ويقول عنه حذيفة: (ما أعرف أحدا أقرب سمتا ولا هديا ودلا بالنبي - صلى الله عليه وسلم- من ابن أم عبد).

- **وفاته** :

وفي أواخر عمره - رضي الله عنه- قدم إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم... توفي سنة اثنتين وثلاثين للهجرة في أواخر خلافة عثمان... رضي الله عن ابن أم عبد وأمه صاحبي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وجعلهما رفيقيه في الجنة مع الخالدين.

- **تلاميذه** :

يعد ابن مسعود أحد كبار الصحابة الذين تتلمذ على أيديهم جموع غفيرة من المسلمين ، ولكون مدرسته كانت في الكوفة فإنها كانت قبلة لطلاب العلم

---

(١) سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، ج١ ،ص٤٨١

(٢) المرجع السابق ،ص٤٨١

(٣) حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ،ط١ ، دار القبلة : جدة ، ج١،ص٥٩٧

من أنحا العراق وفارس . وقد عد بعض المؤرخين فبلغوا أكثر من مائة تلميذ ومن أشهرهم علقمة بن قيس النخعي ، عمرو بن شرحبيل الهمداني ، مسروق بن الأجدع الهمداني ، شريح بن الحارث القاضي ، عبد الرحمن بن يزيد النخعي الربيع بن خثيم ، أبو عبد الرحمن السلمي .

- **جهود ابن مسعود رضي الله عنه التربوية** :

وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبد الله بن مسعود إلى الكوفة لتعليم الناس دينهم ،وإقراءهم القرآن ، و حتى ندرك الجهد التربوي الذي بذله ابن مسعود رضي الله عنه في الكوفة لابد أن نلقي الضوء على طبيعة أهل الكوفة مما امتازت به بلاد الرافدين على وجه العموم هو أن أهلها أصحاب مزاج متقلب وأصحاب هوى ،عالجهم الإمام علي رضي الله عنه في خلافته ،ولقي منهم عنتا شديدا بالرغم من حبهم له وتقديمهم له ،ولكن طبيعتهم المتقلبة ،وجدلهم الدائم جلب لهم الشرور والبلايا ،ولا زالوا كذلك حتى عصرنا الحاضر .

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولى عليهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو من هو في الصحبة والشجاعة وحسن السياسة ولكنهم لم يتفقوا معه طويلا حتى شكوه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنزل عند رغبتهم لاشكا في قدرات سعد ولكن درءا للفتنة ، واختار لهم عبد الله بن مسعود معلما وعمار بن ياسر واليا ، وقال لهم فيكتابه :" إني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميرا وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا ، وإنهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أصحاب بدر ، وقد جعلت عبد الله بن مسعود على بيت مالكم ، فتعلموا منهما ، واقتدوا بهما ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي " (١)

<u>فما الذي فعله ابن مسعود بأهل الكوفة ، وكيف رباهم حتى استطاع استمالة قلوبهم ،ضبطهم؟ وكيف تمكن من استخراج طاقاتهم وتوجيهها توجيها إيجابيا جعل منهم أئمة في العلم بكافة فروعه ؟</u>

ولعل السر في ذلك يرجع لأمور منها :

١- عن حبة بن جرين قال : كنا عند علي فذكرنا بعض قول عبد الله ،وأثنى عليه القوم فقالوا: (يا أمير المؤمنين، ما رأينا رجلا كان أحسن خُلقا ولا أرفق تعليما، ولا أحسن مُجالسة ولا أشد وَرَعا من عبد الله بن مسعود)... قال علي: (نشدتكم الله، أهو صدق من قلوبكم؟)... قالوا: (نعم)... قال: (اللهم إني أشهدك اللهم إني أقول فيه مثل ما قالوا، أو أفضل، لقد قرأ القرآن فأحل حلاله، وحرم حرامه، فقيه في الدين عالم بالسنة).(٢)

ومن خلال وصفهم تبينت صفات المربي والمعلم القدوة فهو : حسن الخلق مترفق بالمتعلمين ، حسن المجالسة – شديد الورع .وهذه صفات جعلت منه شخصية مقنعة ،مثالية ومتكاملة ،فأدبه جذب نفوسهم ،وعلمه أقنع عقولهم

(١) طبقات ابن سعد ، ج٦ ، ص٧-٨

(٢) أسد الغابة ، ج٣ ، ص٣٨٨-٣٨٩.

واستوعب أسئلتهم الكثيرة وجدلهم بمنهج قرآني رصين فما احتاجوا لسؤال غيره وما قصر علمه أو فقهه أو حكمته عن إشباع حاجتهم المتزايدة والفريدة لطلب العلم فأقروا له بالفضل .

٢- امتاز ابن مسعود رضي الله عنه في تعليمه للناس بعدة خصائص ،واستخدم عدة أساليب ،ومن ذلك :

أ- أن الناس كانوا عنده على فريقين عوام وخواص (طلبة العلم) ، فالعوام كان يتخولهم بالموعظة والتعليم ،فكان درسه العام يقام كل خميس، وق استزاده الناس فكان يرد عليهم " إني أكره أن أمللكم ،إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة كراهية السآمة علينا " (١)

وهذا إدراك من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه للفروق الفردية بين الناس وأن منهم بسيط التفكير الذي لا يحتمل تعلم المسائل المعقدة ،ومنهم من هو فوق ذلك وما يصلح لهذا لا يصلح لذاك ، وهو بهذا يستخلص الحكمة من المنهج النبوي في التربية ويطبق المهارة التربوية التي تعلمها في مجالس النبي صلى الله عليه وسلم في مجالسه العلمية والتربوية ، وهذا ما أكدته التربية الحديثة التي باتت تطالب بمعاملة كل طالب في حدود إمكاناته وقدراته وتوجيهه نحو ما يحسن .

ب- استثارة الدافعية لدى طلابه عند تعليمهم ،حيث كان شديد الحرص على تعليم الناس القرآن تلاوة وحفظا وفهما ويرغبهم في ذلك ويستثير حماستهم لذلك ،وله في ذلك أقوال عده ،ومن ذلك "أنه كان يقرئ الرجل الآية ،ثم يقول : لهي خير مما طلعت عليه الشمس أو مما على الأرض من شيء ،حتى يقول ذلك في القرآن كله " (٢)

ج- كانت له مجالسه العلمية التي يجتمع إليه فيها تلاميذه سواء في المسجد أو بيته أو بيوتهم وربما نال كبارهم العلم على يديه من خلال طول الصحبة ،ودوام الملازمة له ،وكان يقول :" إن الرجل ليحدث بالحديث فيسمعه من لا يبلغ عقله فهم ذلك الحديث فيكون عليهم فتنة " وهذا مما يدلل على أنه كانت له مجالسه العلمية التي يخص بها النابهين من تلاميذه .

٣- ومن أهم جهود ابن مسعود التربوية هو تأسيسه لمدرسة الكوفة في الفقه والتفسير ،والتي امتازت بما يلي :

أ- كثرة عدد المنتمين لها من جهابذة العلماء والمفسرين ،وهم خواص تلاميذ ابن مسعود . وقد قال ابن جرير عن مدرسته :" لم يكن أحد له أصحاب معروفون حرروا فتياه ومذاهبه في الفقه غير ابن مسعود " (٣)

---

(١) عبد الستار الشيخ ، عبد الله بن مسعود ،ط١ ، دار القلم : دمشق ،١٤٠٢هـ ،٢١٠ص.
(٢) المرجع السابق ، ص٢١١.
(٣) عبد الستار الشيخ ، عبد الله بن مسعود ، مرجع سابق ، ص٢٧٩.

وقال علي بن المديني :" لم يكن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدا له أصحاب يقولون بقوله في الفقه إلا ثلاثة : عبد الله بن مسعود ،وزيد بن ثابت ،وابن عباس رضي الله عنه "

وقال ابن القيم :" الدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود وأصحاب زيد بن ثابت ،وأصحاب عبد الله بن عمر ،وأصحاب عبد الله بن عباس تعلم الناس عامته عن أصحاب هؤلاء الأربعة " (١)

- **الأسس العلمية التي أقام عليها مدرسته في الفقه والتفسير والحديث** :

تعد مدرسة عبد الله بن مسعود من المدارس الفكرية الرائدة ، حيث مثلت نواة لمنهج إعمال العقل في القضايا والمشكلات في المجتمع والذي كان ظهورها على يد جيل الصحابة من الأهمية بمكان لكونها تحدد المنهج الذي ينبغي للأمة إتباعه في حال عدم وجود النص في النوازل الجديدة ، وهو الأمر الذي سيزداد اتساعا كلما تقدم الزمان ،فلو لم تتعلم الأمة منهجا منضبطا للتعامل مع هذه الظواهر المتجددة فربما ضلت وفقدت الطريق الصواب ، وهذه هي الخصيصة الأساس التي امتاز بها جهد ابن مسعود التربوي والعلمي من خلال مدرسته في الكوفة ، ونوجز هنا أبرز الأسس التي قامت عليها هذه المدرسة :

١- العناية بالرسوخ العلمي والتمكن من أصول العلم ،ومما عرف عن ابن مسعود أنه كان من أعلم الصحابة بالقرآن الكريم ،وقد قال عن نفسه :" والله لقد أخذت من فيّ رسول الله صلى الله عليه بضعا وسبعين سورة ،والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم ". ومثل عنايته بالقرآن الكريم كانت عنايته بالسنة النبوية ، فقد لازم النبي صلى الله عليه وسلم في جل أوقاته فأخذ عنه ما لم يأخذه غيره من الصحابة .

٢- إتاحة المساحة للعقل لأن يعمل ويجتهد ويستنبط في ضوء هذا المخزون المعرفي الهائل حتى يستطيع توظيف علمه توظيفا عمليا يستوعب مستجدات العصر وما يحدث فيه مما لم يكن معروفا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما يعد الثمرة الحقيقية لهذا العلم . يستشف هذا من منهجه في التفسير والذي يتلخص في :

- تفسير القرآن بالقرآن .
- تفسير القرآن بالسنة .
- تفسير القرآن من خلال اللغة
- تفسير القرآن بالاجتهاد وإعمال الفكر .

وقد ذاعت اجتهاداته في التفسير والفقه ونقلها عنه تلاميذه حتى أصبح رأي ابن مسعود ومن بعده تلاميذه قولا معتمدا في كثير من مسائل النوازل .

وقد وعى تلاميذه هذا المنهج العلمي الرصين وأتقنوه ، وعملوا به ، ونقلوه إلى من بعدهم مما كان له أكبر الأثر في ثراء مدرسة الرأي في العراق وذيوع صيتها

(١) محمد ابن أبي بكر ابن القيم ، أعلام الموقعين عن رب العلمين ،دار الجيل : بيروت ، ج١ ،ص٢٠ .

وامتداد تأثيرها إلى كثير من أرجاء العالم الإسلامي . ويكفي أن نقول أن ثلاثة من المذاهب الفقهية المعتبرة قد نشأت في ظل هذه المدرسة واسعة الأفق وهي : المذهب الحنفي ، والمذهب الشافعي ،والمذهب الحنبلي . كما ظهرت مدارس اللغة الكبرى وهي مدرستي الكوفة والبصرة والتي أصبحت أقوالها فيما بعد حجة في اللغة بكافة فروعها ، ولذا لما دخل علي بن طالب رضي الله عنه الكوفة قال :" رحم الله ابن أم عبد ،قد ملأ هذه القرية علما " (١)

- **مدرسة الكوفة ومنهجها**:

اتخذ الأساتذة طريقة " التحفيظ والتسميع في القرآن الكريم خاصة " وهي الطريقة المقبولة التي لا يعتريها عيب مع كتاب الله لأنه لا يصح أن يعتمد التلميذ فيه على نفسه خشية الزلل ، وليس فيها كبت للقدرات والمواهب إذا ماقتصرت على هذا الموضوع (موضوع التحفيظ والتسميع في القرآن الكريم خاصة) . أما في غيره من العلوم فإنها تركت للتلميذ حريته في اختيار المادة والموضوع الذي يريد دراسته، ويتناسب مع مواهبه واستعداده مع التأكد من صدق اختياره وميوله ، ومع التوجيه والشرح والإلقاء من الأستاذ والسؤال والمراجعة والفهم الخاص من التلميذ ؛ فلم تترك للتلميذ مطلق الحرية في الاختيار والفهم ، ولم تسلبه استعداده بالكلية. وتحقيقا لهذا فإنهم لجأوا إلى انتقاء التلاميذ حسب صلاحيتهم للعلم عامة ، ولفرع من الفروع بصفة خاصة وقد يرفض الأستاذ تلميذا لعدم صلاحيته في مجال العلوم النظرية ويدلنا على هذا قول الحارث بن سويد (إن كان الرجل ليتبعنا إلى عبد الله بن مسعود – أستاذ مدرسة الكوفة الأول – فيما يقبله يرده لعدم صلاحيته للتلقي ولا يتم هذا على وجه الدقة إلا بخبرة الأستاذ وفراسته .(٢)

وإجمالا فيمكن القول أن الجهود التربوية التي قدمها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ،كانت جهودا جليلة ومؤثرة ، وأحدثت نقلة نوعية في الفكر الإسلامي بشكل عام من خلال اجتهاداتها المنضبطة والتي رسمت الطريق للعلماء فيما بعد ، كما أن التنوع والثراء التربوي الذي اتسمت به هذه المدرسة متمثلا في شخص مؤسسها يعكس الحس التربوي الكبير الذي كان يمتلكه رضي الله عنه .

- **جهود الإمام محمد بن إسماعيل البخاري**
- **اسمه ونسبه** :

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري وكلمة بردزبه تعني بلغة بخارى "الزراع" .

---

(١) عبد الستار الشيخ ، مرجع سابق ، ص٢٩٩.

(٢) منتديات الملتقى العلمي القطري ، مدارس التفسير في عصر الصحابة والتابعين . www.meqatari.com

أسلم جده "المغيرة" على يدي اليمان الجعفي والي بخارى وكان مجوسيا وطلب والده إسماعيل بن إبراهيم العلم والتقى بعدد من كبار العلماء، وروى إسحاق بن أحمد بن خلف أنه سمع البخاري يقول سمع أبي من مالك بن أنس ورأى حماد بن زيد وصافح ابن المبارك بكلتا يديه. ولد أبو عبد الله في يوم الجمعة الرابع من شوال سنة أربع وتسعين ومائة (١٩٤هـ).(١)

- **صفاته** :

وهب الله للبخاري منذ طفولته قوة في الذكاء والحفظ من خلال ذاكرة قوية تحدى بها أقوى الاختبارات التي تعرض لها في عدة مواقف.

يقول محمد بن أبي حاتم: قلت لأبي عبد الله: كيف كان بدء أمرك قال ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب فقلت كم كان سنك فقال عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره فقال يوما فيما كان يقرأ للناس سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم فانتهرني فقلت له ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه ثم خرج فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت:هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأحكم(أصلح) كتابه وقال: صدقت. فقيل للبخاري ابن كم كنت حين رددت عليه قال ابن إحدى عشرة سنة. (٢)

ولما بلغ البخاري ست عشرة سنة كان قد حفظ كتب ابن المبارك و وكيع.

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام فكنا نقول له إنك تختلف معنا ولا تكتب فما تصنع فقال لنا يوما بعد ستة عشر يوما إنكما قد أكثرتما على وألححتما فاعرضا على ما كتبتما فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ثم قال أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد.(٣)

وقال ابن عدي حدثني محمد بن أحمد القومسي سمعت محمد ابن خميرويه سمعت محمد بن إسماعيل يقول أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح قال وسمعت أبا بكر الكلواذاني يقول ما رأيت مثل محمد بن إسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلماء فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الأحاديث بمرة.(٤)

- **طلبه للحديث** :

بدأ البخاري طلبه للحديث من مسقط رأسه بخارى فقد سمع بها من الجعفي المسندي ومحمد بن سلام البيكندي وجماعة ليسوا من كبار شيوخه ثم

---

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، حياة البخاري : تحقيق : محمود الأرناؤط ، ط١، دار النفائس : بيروت ، ١٤١٢هـ ، ص١٣.
(٢) محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، ج١٢،ص٣٩٣.
(٣) محمد جمال القاسمي ، حياة البخاري ، مرجع سابق ، ص١٧
(٤) المرجع السابق ، ص١٩

رحل إلى بلخ وسمع هناك من مكبن بن إبراهيم وهو من كبار شيوخه وسمع بمرو من عبدان بن عثمان وعلي بن الحسن بن شقيق وصدقة بن الفضل. وسمع بنيسابور من يحيى بن يحيى وجماعة من العلماء وبالري من إبراهيم بن موسى.

وفي أواخر سنة ٢١٠هـ قدم البخاري العراق وتنقل بين مدنها ليسمع من شيوخها وعلمائها. وقال البخاري دخلت بغداد آخر ثمان مرات في كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لي في آخر ما ودعته يا أبا عبد الله تدع العلم والناس وتصير إلى خراسان قال فأنا الآن أذكر قوله.

ثم رحل إلى مكة وسمع هناك من أبي عبد الرحمن المقرئ وخلاد بن يحي وحسان بن حسان البصري وأبي الوليد أحمد بن محمد الأزرقي والحميدي. وسمع بالمدينة من عبد العزيز الأويسي وأيوب بن سليمان بن بلال وإسماعيل بن أبي أويس. وأكمل رحلته في العالم الإسلامي آنذاك فذهب إلى مصر ثم ذهب إلى الشام وسمع من أبي اليمان وآدم بن أبي إياس وعلي بن عياش وبشر بن شعيب وقد سمع من أبي المغيرة عبد القدوس وأحمد بن خالد الوهبي ومحمد بن يوسف الفريابي وأبي مسهر وآخرين. (١)

- **تفوقه على أقرانه في الحديث** :

ظهر نبوغ البخاري مبكرا فتفوق على أقرانه، وصاروا يتتلمذون على يديه ويحتفون به في البلدان. فقد روي أن أهل المعرفة من البصريين يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه وكان شابا لم يخرج وجهه.

وروي عن يوسف بن موسى المروروذي يقول كنت بالبصرة في جامعها إذ سمعت مناديا ينادي يا أهل العلم قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري فقاموا في طلبه وكنت معهم فرأينا رجلا شابا يصلي خلف الأسطوانة فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء فأجابهم فلما كان الغد اجتمع قريب من كذا وكذا ألف فجلس للإملاء وقال يا أهل البصرة أنا شاب وقد سألتموني أن أحدثكم وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون منها.

وقال أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا لإسناد هذا وإسناد هذا لمتن هذا ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس فاجتمع الناس وانتدب أحدهم فسأل البخاري عن حديث من عشرته فقال لا أعرفه وسأله عن آخر فقال لا أعرفه وكذلك حتى فرغ من عشرته فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الرجل فهم. ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز ثم انتدب آخر ففعل كما فعل الأول والبخاري يقول لاأعرفه ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس وهو لا يزيدهم على لا أعرفه. فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال أما حديثك الأول فكذا والثاني

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، ج١٢،ص٣٩٨

كذا والثالث كذا إلى العشرة فرد كل متن إلى إسناده وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر له الناس بالحفظ فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول الكبش النطاح. (١)

وروي عن أبي الأزهر قال كان بسمرقند أربعمائة ممن يطلبون الحديث فاجتمعوا سبعة أيام وأحبوا مغالطة البخاري فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق وإسناد اليمن في إسناد الحرمين فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن.

وقال أحيد بن أبي جعفر والي بخارى قال محمد بن إسماعيل يوما رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر فقلت له: يا أبا عبد الله بكماله قال: فسكت.

- **ثناء الأئمة عليه**

قال أبو إسحاق السرماري: من أراد أن ينظر إلى فقيه بحقه وصدقه فلينظر إلى محمد بن إسماعيل.

وقال أبو جعفر سمعت يحيى بن جعفر يقول لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل من عمري لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموته ذهاب العلم.

وكان نعيم بن حماد يقول: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة. قال مصعب الزهري محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر بالحديث.

وروي عن إسحاق بن راهويه أنه كان يقول اكتبوا عن هذا الشاب يعني البخاري فلو كان في زمن الحسن لاحتاج إليه الناس لمعرفته بالحديث وفقهه. (٢)

- **مؤلفاته** :

من أشهر مؤلفاته وأنفعها كتابه (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) وكما أطلق عليه العلماء فإنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى .

- كتاب الأدب المفرد :
- التاريخ الكبير.
- التاريخ الأوسط .
- التاريخ الصغير .
- قضايا الصحابة والتابعين .
- كتاب الضعفاء .
- خلق أفعال العباد .
- كتاب العلل.
- كتاب الكنى ....وغيرها من الكتب والأجزاء .

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، ج١٢، ص٤٠٩

(٢) سير أعلام النبلاء ، مرجع سابق ، ج١٢، ص٤١٧ وما بعدها

- **وفاة البخاري**

توفي البخاري . رحمه الله . ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين بعد المائتين (٢٥٦هـ) وقد بلغ اثنتين وستين سنة.

- **الجهود التربوية للإمام البخاري** :

إن أجل ما قدمه الإمام البخاري للإسلام بشكل عام وللتربية بشكل خاص هو حفظه للسنة النبوية الصحيحة من خلال كتابه الجامع الصحيح ،والذي ضم بين دفتيه الهدي النبوي من أحكام وآداب وسنن وأخلاق وقيم والتي تشكل بمجموعها قوام حياة المسلم ، ومنذ تأليف كتابه وإلى يومنا هذا وحتى قيام الساعة سيبقى صحيح البخاري المرجع المعتمد للتربية الإسلامية ، والذي لايتطرق له الشك ولا يخالطه الخطأ ، وهو يشكل مع مجموعة كتب السنة الصحيحة الأخرى المصدر الثاني من مصادر التربية الإسلامية ، وهذا جهد لايدانيه جهد .

- **كتاب الأدب المفرد**:

ويمثل هذا الكتاب الاتجاه التربوي في مؤلفات الإمام البخاري رحمه الله تعالى وهذا الكتاب لا يحوي فكر الإمام البخاري بشكل جلي واضح ، و إنما يتمثل جهده التربوي في إبراز الهدي النبوي في الآداب بشكل عام في مصنف واحد ضم بين جنباته أنواع شتى من الآداب ،والتي يمكن إدراجها تحت العناوين الرئيسة التالي:

- أدبٌ مع الله سبحانه وتعالي .
- أدبٌ مع رسوله صلى الله عليه وسلم
- أدبٌ مع الخلق.
- تربية النفس وتزكيتها .
- متفرقات .

والكتاب في بابه يعتبر كتابا جامعا ومرجعا هاما من المراجع التربوية التي عنيت بمصدر التربية الإسلامية الثاني وهو السنة النبوية . وقد تكلم ابن حجر . رحمه الله . في أهمية هذا الكتاب حيث قال : "وكتاب الأدب المفرد يشتمل على أحاديث زائدة على ما في الصحيح ، وفيه قليل من الآثار الموقوفة ، وهو كثير الفائدة ". وقد شرحه الشيخ فضل الله الجيلاني، وخرّج أحاديثه وحققه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني . فالكتاب الآن مشروح ومحقق .." كتاب صحيح الأدب المفرد للبخاري" . رحمه الله . وحسبك به وبمؤلفه

- **القيمة التربوية لهذا الكتاب** :

يقول النبي صلى الله عليه وسلم وهو إمام العلماء: " إنَّ الهدي الصالح والسمت والاقتصاد جزءَ من خمسةٍ وعشرين جزءا من النبوة "، فإذا الأدب هو السمت الصالح .. حسن السمت والهدي الصالح .. هذا هو الأدب ، وقال النخعي . رحمة الله .:" كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وصلاته و إلى حالهٍ ثم يأخذون عنه ". فأول شيء ينظرون إليه أدب العالم والمحدث فإن وجدوه أديبا مؤدبا أخذوا عنه . ولذلك كان مجلس الإمام أحمد رحمه الله يجتمع فيه زهاء خمسة آلاف أو يزيدون ، خمسمائة يكتبون الحديث والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت . وقال ابن عباس – رضي الله عنه – : " أطلب الأدب فإنه زيادة في العقل، ودليل على المروءة ، مؤنس في الوحدة وصاحب في الغربة، ومال

عند القلة " . وقال أبو عبد الله البلخي :" أدب العلم أكثر من العلم ". وقال أبن المبارك رحمه الله :" لا ينبل الرجل بنوع من العلم ما لم يزيّن علمه بالأدب "وكذلك قال رحمه الله أيضاً :" طلبت العلم فأصبت منه شيئا، وطلبت الأدب فإذا أهله قد بادوا ".

وقال بعض الحكماء : " لا أدب إلا بعقل ، ولا عقل إلا بأدب "، وقال بعضهم : "رأيت من أراد أن يمد يده في الصلاة إلى أنفه ، فقبض على يده ". خرَجت واحدةٌ من يديه إلى الأنف فقبضت الثانية عليها وكفتها.

وقال يحيى ابن معاذ : " من تأدب بأدب الله ، صار من أهل محبة الله ".

وقال ابن المبارك أيضاً : " نحنُ إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثيرٍ من العلم ". فهناك أناسٍ عندهم علمٌ كثير لكن ليس عندهم أدب ، ولذلك نَفروا الناسَ ، فحال انعدامُ الأدب دون ما عندهم من العلم .

وسُئل الحسن البصري - رحمه الله - عن أنفع الأدب ، فقال :" التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بما لله عليك ". (١)

من كل ما سبق تتضح لنا القيمة التربوية التي يحملها هذا الكتاب ، والثغرة العظيمة التي يسدها ،وهل التربية إلا تعليم الأدب وتزكية النفوس . لقد أراح الإمام البخاري التربويين بجمعه لمادة هذا الكتاب فلم يبق لهم إلا الشروح والتوظيف التربوي المناسب لهذه الأحاديث والآثار .

هذا بعض ما بذله البخاري في ميدان التربية ، ولا شك أن حلقاته العلمية كانت ميدانا تطبيقيا لهذا الإطار النظري ،غير أني لم أجد وصفا تفصيليا لحلقاته العلمية حتى أستشف منها طريقته في التدريس ،ولكن إنتاجه الفكري يدل ولاشك على جانب هام من حياته التربوية ر حمه الله تعالى .

- **الجهود التربوية للإمام المحدث شمس الدين الذهبي**
- **اسمه ونشأته** :

هو الإمام المحدث والمؤرخ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن الشيخ عبد الله ، التركماني الأصل .ولد سنة ٦٧٣هـ في دمشق . عمل والده في صناعة الذهب المدقوق لذلك لقب بالذهبي . نشأ في أسرة علم فقد كان والده يدرس الحديث ، وعمته تطلب الحديث وترويه ،وكذلك خاله ، هذا الجو العلمي جعله ينشأ في رحاب حلقات العلم واستمر منقطعا للعلم حتى توفي رحمه الله .حفظ القرآن وهو صغير ،ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره بدأ في طلب العلم على يد العلماء ، وبرع في الحديث وصرف إليه جل جهده واهتمامه وهذا واضح في مؤلفاته بعد ذلك .(٢) . وفي السادسة والعشرين من عمره تولى التدريس في حلقة إقراء في جامع دمشق الكبير ،واستمر مع ذلك في طلب العلم . ذاع صيته واشتهر بين الناس بعلمه وإتقانه وذكائه وورعه فأقبلوا عليه وأخذوا عنه العلم

---

(١) أهمية الأدب في حياة المسلم ، موقع طريق الإسلام .www.islamway.com

(٢) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، نسخة إلكترونية ، موقع الوراق www.alwaraq.com

حتى عد من أعلام علماء قرنه .تولى الخطابة في قرية كفر بطنا من قرى دمشق ، ودرس في مدرسة أم الصالح في دمشق . وعندما توفي ابن تيمية خلفه في دار الحديث الظاهرية. كف بصره في آخر عمره ،وتوفي بدمشق عام ٧٤٨هـ . رحمه الله تعالى .

- **أشهر مؤلفاته** :

له العديد من المؤلفات والتي ذاع صيتها وتلقتها الأمة بالقبول ،ومن أشهرها:

- سير أعلام النبلاء .
- ميزان الاعتدال
- ميزان الاعتدال
- طبقات الحفاظ.
- طبقات القراء .

- **نبذه عن أحوال عصره** :

عاش الإمام الذهبي في الفترة من عام ٦٧٣هـ إلى ٧٤٨هـ ، وهو ما يعني أنه عاش في نهايات القرن السابع ومطلع القرن الثامن ، وقد امتاز هذين القرنين بجملة من الاضطرابات والانحرافات الفكرية والعقدية والتي ألقت بظلالها على الحركة العلمية ، ومنها: (٢)

- من الناحية السياسية كانت الدولة الإسلامية تعاني من التفكك والضعف ، وحكم الدويلات مثل المماليك ، وحكم الدولة العثمانية والتي انصرف اهتمامها للنواحي العسكرية وأهملت الحركة العلمية والنواحي الاجتماعية .
- انتشار البدع العقدية والفكرية والطرق الصوفية المغالية وكثر المنتسبين لها والمفتونين بكراماتها المزعومة .
- التوسع في الفلسفة اليونانية وعلم المنطق وتبني الفرق المنحرفة عقديا لمناهجها والأخذ بها على علاتها .
- على مستوى الحياة الاجتماعية انتشر البعد عن الدين والركون للدنيا والملذات والحالة الآنية وترك الاشتغال بعمل الآخرة .
- انتشار التعصب المذهبي إلى حد العداوة والخصومة لدرجة جعلت المدارس مصنفة كل مذهب على حده .
- قلة الرغبة في طلب العلم ودنو همة الأجيال التي عاصرها الذهبي عن الصبر على طلبه ومعرفة الطرق السليمة لحسن الطلب .

لعل هذه الإلماحة السريعة تعطينا القدرة على تقييم جهده التربوي ، وإدراك أهميته وفائدته من عدمها ، والتعرف على المبررات التي دعته ودعت أمثاله من العلماء الكبار لسلوك هذا المسلك في التنظير التربوي . إن صح التعبير . وهو ماستعرض له الباحثة كرؤية تقييمة بعد استعراض جهوده التربوية .

---

(٢) ماجد عرسان الكيلاني : تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ط٢ ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٤٠٥هـ ،ص٢١١-٢٣٢.

- **أهم جهود الإمام الذهبي التربوية** :

ويمكن تقسيمها إلى نوعين من الجهود وهي :

١- المبادئ التربوية :

وهي الأسس التي بنا الإمام عليها مسيرته العلمية ، وظهرت جلية واضحة في منهجيته العلمية، في الكتابة والتأليف وفي التدريس ، أيضا ظهرت في كتاباته النقدية لأوضاع العلم والمتعلمين في عصره . وقد استخلص النحلاوي هذه المبادئ من كتاب الذهبي (الكبائر) ،والتي جاءت في الكبيرة الثامنة والثلاثين :التعليم للدنيا وكتمان العلم .وهذه المبادئ هي : (١)

- وجوب التعليم .
- الإخلاص في طلب العلم .
- العمل بالعلم .

ولا يخفى أن هذه المبادئ هي من مرتكزات مقاصد التربية في النظرية التربوية الإسلامية والتي تعطيها الخصوصية التي تجعلها مختلفة عن كل النظريات الوضعية .

٢- حفظ تراث السلف :

من الجهود العظيمة التي تحسب للإمام الذهبي هو حفظه لتراث السلف ؛ فقد نظر إلى التراث العظيم الذي تركه أولئك العلماء فعمل على تلخيص أمهات الكتب وتنقيحها والانتقاء من مادتها العلمية الغزيرة ،وهذا مسلك سلكه كثير من العلماء ممن عاصروه وجاءوا من بعده . وإذا كان الكيلاني اعتبر هذه المرحلة في التاريخ الإسلامي مرحلة جمود فكري ، وقفل لباب الاجتهاد وتراجع عن السير للأمام (٢) ، إلا أن هناك أسباب وملابسات جعلت من هذا التوجه للذهبي وغيره من العلماء أهمية وفائدة وربما كان ضرورة تقتضيها المرحلة التي عاشوا فيها ،وذلك يرجع للأسباب التالية :

أ- أن هذا المسلك (التنقيح والتقريب والاختصار والشرح) مثل مرحلة جديدة من التأليف كانت لازمة وحتمية كمرحلة لاحقة لمرحلة التوسع في جمع العلم والرحلة في طلبه وتدوين كل شاردة واردة في مجلدات ضخمة حوت – في الغالب - كل ما يسمعه العالم من شيوخه بدون تنقيح ولا نقد – في كثير منها – مما جعل هذه الكتب تحوي الغث والسمين ، مع ما يصحب ذلك من الإطالة وصعوبة العبارة تبعا للفترة التي دونت فيها . لذا كان من الضروري أن يأتي جيل من العلماء ينقح هذا التراث وينقده ويصححه ويستدرك جوانب القصور فيه ويسهل عباراته حتى تمتد لأجيال لاحقة تعيش في أعصار وأزمان مختلفة عن الأزمنة التي دونت فيها هذه الكتب ، فنجم عن ذلك أن حفظت تلك الجهود العلمية الضخمة ونقدت ولخصت بالشكل الذي يجعلها ذات فائدة أكبر

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي ، من أعلام التربية الإسلامية (الإمام الذهبي) ، مكتب التربية لدول الخليج العربي: الرياض ، ج٤، ص٣٢

(١) ماجد عرسان الكيلاني ، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، مرجع سابق ، ص

ب- تقدم معنا أنه عاش في فترة زمنية تعج بالفتن والمنكرات والبدع واختلاط الفلسفات اليونانية بالعلوم الإسلامية مما جعل ذلك الجهد العلمي أمام خطرين ؛خطر الاندثار والإهمال ، وخطر الفساد بسبب الاختلاط بتلك البدع.

٣- كتاب (زغل العلم والطلب) :

وهو يمثل رؤية الذهبي النقدية لأحوال التربية في عصره . (١)

وقد جاءت رؤيته النقدية في هذا الكتاب على ضربين :

الأول : نقد أخلاق طلبة العلم في عصره .

الثاني : تصنيف العلوم والمقدار الكافي منها .

فأما نقده لأخلاق طلبة العلم في عصره ومقاصدهم من الطلب فقد تناول طلبة العلم في جل التخصصات السائدة في عصره ،وذلك على النحو التالي :

في علم التجويد والقراءات والتلاوة :

فقد عاب عليهم خروجهم عن المقصد الشرعي من تعلم القرآن والقراءات وعدد بعض أخطائهم ومنها :

- المبالغة في التجويد والقراءة ،والتنغيم المبالغ فيه وما يصحب ذلك من اشتغال بطريقة الأداء عن فهم الآية وتدبرها ،وفي هذا خروج عن مقصد هذا العلم وهو تحسين التلاوة ليزداد الإقبال على التلاوة والسماع والتدبر والبعد عن اللحن في كتاب الله وإحالة معانيه .
- قراءة القرآن على الجنائز وهي بدعة انتشرت في عصره جعلت كثير من الناس لا يسمعون القرآن إلا في وقت الجنائز واتخاذه كوسيلة للتحزين واستثارة المشاعر وليس للتدبر ، مع ما يصحب ذلك من أخذ الأجرة على هذه القراءة .
- الاشتغال بكثرة الأوجه في القراءات ، والحرص على التنويع والتبديل بينها لإظهار القدرات .
- المراءاة في تعلم العلم وفي القراءة .

في علم الحديث والمحدثين :

- انصراف همتهم للحصول على إجازة السماع دون التوقف عند الأحاديث التي يتعلمونها والحرص على فهمها والعمل بها ،أو حتى تحصيل المهارة المطلوبة للتمييز بين صحيحها وسقيمها وكما قال الذهبي " وأي خير في حديث مخلوط صحيحه بواهيه " .
- الحرص على كثرة المسموع من الأجزاء الحديثية والإكثار من الشيوخ لتحصيل منزلة علمية مع التساهل في التثبت من درجة ثقة هؤلاء الشيوخ وحفظهم وإتقانهم .

---

(١) اطلعت على فقرات من هذا الكتاب من خلال بحث الدكتور النحلاوي ، وبنيت عليها تعليقي على هذا الكتاب .

- المبالغة في طلب علو الإسناد لا حرصا على صحة المسند وجودة السند وقوة رواته ، ولكن طلبا للشهرة والظهور

والمتأمل لهذه الانتقادات التي تنبه لها الذهبي يلمح إدراكه لخطر التساهل العلمي الذي تسلل لنفوس كثير من طلاب العلم في عصره وهو أمر يشكل خطر كبير على العلوم ذاتها من خلال ضعفها واختلاط جيدها برديئها وتسلل الأهواء والرغبات إليها بسبب تغيب عامل الضبط والإتقان ، وهي مشكلة تعاني منها العملية التربوية في عصرنا بشكل أكثر وضوحا وشيوعا والتي تجعل من الشهادة العلمية هدفا وطلب العلم وسيلة لذلك الهدف ، وهذا الداء إذا تسلل إلى نفوس طلبة العلم أفسدها وأفسد العلوم التي يحملون شهاداتهم فيها فينجم عن ذلك ضعف الثمرة الحقيقية لتلك العلوم .

في علم الفقه :

- التسرع في الفتيا دون إلمام كامل بالمسألة التعصب للمذهب والإفتاء برأيه وإن خالف الصواب ، والانتصار له والجدال لنصرته ولو لم يكن الحق معهم
- التحايل على الشرع وإبطال أحكامه لتحقيق مصالح دنيوية ، وهذا يأتي عندما يكون هم الفقيه تحصيل المناصب والرياسة وتصدر المجالس .
- الغلو في افتراض المسائل وإصدار أحكام لها دون أن تقع .

وما قاله في هذه العلوم يمكن أن ينطبق على طلبة العلم في كافة الفروع الأخرى مع اختلاف بسيط ،وخلاصة رؤيته هذه هو أن عصره امتاز بانحراف خطير لمقاصد تحصيل العلوم لاسيما الشرعية منها مما أخل بمقاصد النظرية التربوية الإسلامية والتي تقوم مقاصدها على أهداف أخروية وأخرى دنيوية تؤدي إليها في منظومة تحقق لكافة العلوم صفة الخيرية والنفع .

تصنيف العلوم والمقدار الكافي منها :

وقد تطلبت جوانب القصور التي تتبعها الذهبي في أخلاق طلبة العلم أن يقوم بمحاولة لتقييم المادة العلمية أو (المنهاج) في كافة فروع المعرفة في عصره حتى يحدد مواطن الضعف والخلل ويقدم العلاج المناسب من وجهة نظره ولعل هذا الجهد منه يقابل ما تمارسه لجان التطوير التربوي التابعة لوزارات التعليم من مراجعة منتظمة لمناهج التعليم من حيث مادتها ومدى ملاءمتها لتحقيق أهداف العملية التعليمية ، فمن المعلوم في التخطيط التربوي أن مراجعة مفردات المناهج أمر حتمي لكل عملية تطوير وتحسين للعملية التعليمية .

ومجمل رأيه في هذه المناهج يتلخص في :

- اختلاط علم أصول الدين بعلم الكلام المبني على الفلسفة مما أفسده في كثير من جوانبه .
- علم الفلسفة بالنسبة له عديم الفائدة كثير الغلط ، وإن كان يميز بين أنواعها المختلفة .
- يرى أن علم أصول الفقه عديم الفائدة في ظل التعصب المذهبي الذي ساد في عصره .

- أما العلوم الطبيعية فهو يرى أنها علوم دنيوية لا ثواب فيها ولا عقاب إلا إذا صحبت بنية نفع المسلمين .

وأرائه هذه في مجملها ليست صواب في كل أجزاءها بل إن بعضا منها تمثل وجهة نظره الشخصية ولا تمثل رأيا شرعيا مؤصلا ،ولعل الإغراق في علوم الفلسفة في عصره وما حوت من إلحاد وزندقة بلا تنقيح ولا نقد جعلت منه يقف موقف الضد من المشتغلين بها .

والخلاصة التي يمكن الخروج بها من رؤيته النقدية هذه هو أن الإمام الذهبي رحمه الله حرص على تحديد مسار واضح للعلم ابتداء من وضوح مقاصد طلبه والعمل به وتعليمه للناس والبعد عن اتخاذه وسيلة للتكسب غير المشروع أو الحصول على المناصب والشهرة . ولعله أدرك بوافر حكمته أن تردي الأوضاع العلمية والعقدية والاجتماعية في عصره إنما نجمت عن انحراف العلوم عن مقاصدها وضوابطها الشرعية ، وتحصيلها لتحقيق مصالح دنيوية مرجوحة إما للمباهاة أو الترف الفكري أو للتكسب ، وهذا انحراف يتصادم تماما مع مقاصد الشريعة من العلوم والتي تهدف أول ما تهدف إلى أحد أمرين :

- تحقيق النفع الأخروي من خلال حفظ الشريعة وتقريبها للناس وتحقيق مفاهيم العبودية لله .
- تحقيق النفع الدنيوي من خلال تعلم العلوم كافة والتي تنطبق عليها شروط تحقيق مقاصد الشريعة من الوجود على الأرض عمارة وبناء وتحقيق الخير للبشرية وتحقيق النموذج الحضاري الخيّر

- **الجهود التربوية لابن حجر العسقلاني**
- **اسمه ونشأته** :

هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الكناني العسقلاني ، نسبة إلى عسقلان مدينة في فلسطين .

ولد في شعبان سنة ٧٧٣هـ في مصر ،ونشأ يتيما فقد توفي والده وله من العمر مايقارب الأربع سنوات ،وتوفيت أمه قبل ذلك ،وكفله زكي الدين أبي بكر بن نور الدين على الخروبي ،وكان تاجرا كبيرا بمصر ،وظل في رعايته حتى توفي الرجل سنة ٧٨٧هـ .(١)

- **طلبه للعلم** :

التحق بالكتاب بعد أن أكمل خمس سنين ،وأتم حفظ القرآن الكريم في أربع سنوات .ثم اشتغل بحفظ بعض المتون والمختصرات والسماع للعلماء في حلقات المساجد ، وكان هذا تقليدا متبعا ويشرف عليه مدرسين أكفاء ، وهي نعتبر مرحلة تأسيسية للطلاب . امتاز بسرعة الحفظ ،وظهرت عليه علامات النبوغ مما أهله للانطلاق لطلب العلم والجلوس في حلق العلماء الكبار والأخذ عنهم

(١) شاكر محمود عبد المنعم ، ابن حجر العسقلاني : مصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في كتابه الإصابة ، ط١ ، مكتبة دار العلوم :المدينة المنورة ، ١٤١٧هـ ،ص ٤٥-٥٤

في شتى الفنون .ارتحل في طلب العلم إلى كل من الشام والحجاز واليمن بالإضافة إلى موطنه مصر . وقد كان عالما بارعا ي علم الفقه وصوله والتفسير والحديث وإن كان في الأخير أوفر حظا حتى إنه لقب بأمير المؤمنين في الحديث ،وهو لقب لم يحظ به إلا عدد قليل من جهابذة العلماء من أمثال البخاري ويحيى بن معين .

- **أشهر مؤلفاته** :

كان ابن حجر من المكثرين في التأليف ،حتى بلغت مؤلفاته كما ذكر السخاوي ٢٧٠ عنونا ، وذكر غيره أقل من ذلك .(١)

ومن أشهر هذه المؤلفات :

- فتح الباري شرح صحيح البخاري .
- بلوغ المرام من أدلة الأحكام .
- تغليق التعليق .
- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر .
- الإصابة بمعرفة الصحابة .
- لسان الميزان .
- تهذيب التهذيب .... وغيرها .

- **أحوال عصره** :

عاش ابن حجر في الفترة من ٧٧٣هـ وحتى ٨٥٢هـ وهو عام وفاته ، وقد امتازت هذه الفترة بالآتي :

فمن الناحية السياسية كان العالم الإسلامي ممزقا إلى دويلات صغيرة بعد الغزو المغولي الذي أسقط الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ ،حيث تقاسم حكم العلام الإسلامي ثلاث فئات أو طوائف ؛ ففي أقصى الشرق كان حكم المعول بالتبادل مع الفرس ، وحكم الترك الشام ، وأصبحت مصر والشام في حكم المماليك ، إذن يمكن القول أن ابن حجر عاش في ظل الدولة المملوكية ، ودرس في مدارسها كما سيأتي بيانه . وأما من الناحية العلمية فقد برزت مراكز ثقافية هامة في كل من مصر والشام ، وتضاءلت مراكز أخرى ،وذلك يرجع إلى عناية المماليك بالتعليم ونشر العلم ،وبذلهم الجهود الكبيرة في بناء المدارس ومؤسسات التعليم ،ووقف الأوقاف الكبيرة لها ،لذلك فقد استقطبت عددا كبيرا من علماء العالم الإسلامي ومنهم ابن حجر .(٢)

كما امتازت الحركة العلمية في هذه الفترة بالاهتمام بالتأليف الموسوعي وكثرت المؤلفات في هذا المجال ،واشتدت العناية بكتابة شروح لأمهات الكتب .

- **جهود الإمام ابن حجر التربوية** :

تمثلت جهود ابن حجر التربوية في المجالات التالية :

---

(١) محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، تحقيق : إبراهيم عبد المجيد ، ط١ ، دار ابن حزم ك بيروت ، ١٤١٩هـ ، ص ٦٦٠

(٢) شاكر محمود عبد المنعم ، ابن حجر العسقلاني ، مرجع سايق ، ص ٣٢-٣٧

- **أولا** : **في مجال التأليف والكتابة** :

بالرغم أن مؤلفات الإمام بلغت المئات في فروع شتى من فروع العلم الشرعي إلا أنه لم يكن له مؤلفات متخصصة وموجهة في التربية ،ولكن المتأمل لأمهات مصنفاته ولا سيما كتابه العظيم فتح الباري يجد أن هذا الكتاب حوى في ثناياه من الفكر التربوي الواعي والرصين ما يدلل على الحس التربوي الرفيع الذي يمتلكه ابن حجر فإبداعه منقطع النظير في شرح أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم على تنوع موضوعاتها حوى من الوقفات التربوية ،وحل المعضلات والمشكلات التعليمية ما استحق معه أن يفرد بدراسة تستخلص ما حوته تلك الشروح من حس تربوي فهم التربية النبوية وأفاض في بيانها والتدليل عليها وتقريبها للناس ،ومما يدلل على جلالة قدر هذا الكتاب ثناء العلماء عليه حتى أنهم أجمعوا أنه لم يؤلف قبله ولا بعده مثله .

- **ثانيا** : **دوره التربوي والتعليمي في أسرته** :

وهذا مما امتاز به ابن حجر رحمه الله ، فقد كان شديد الحرص على إشراك أهل بيته ي العلم الذي حازه ،وهذا منهج تربوي نبوي قل من يلتفت إليه ،ويوليه العناية الكافية ، ومما ذكر في ذلك :

- كان شديد العناية بأخذ الإجازات العلمية لزوجته أُنس ابنة القاضي كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز ،فاستدعى لها عدد من ألفاظ والعلماء المعروفين في بلده من المصريين ومن خارجها من المكيين والشاميين واليمنيين ، حتى إنها بلغت منزلة من العلم أصبحت معها تحدث بحضور زوجها .(١)
- كما عني بتعليم بناته الأربع (زين خاتون ، فرحه ، عالية ، فاطمة) وابنه الوحيد محمد ،والذي صنف كتابه بلوغ المرام من أدلة الأحكام من أجله . (٢)

- **ثالثا** : **عنايته بالتدريس** :

عني ابن حجر بالتدريس أيما عناية ،ووقف نفسه له ، ومن المدارس التي درس بها : المدرسة الشيخونية ،والمدرسة الخروبية البدرية ،والمدرسة الشريفية البدرية والمدرسة الصالحية النجمية . وهي من أجل مدارس القاهرة ، كذلك درس بالمدرسة الصلاحية ،والمدرسة الجمالية الجديدة ،والبيبرسية والمؤيدية الجديدة . وقد تولى تدريس الفقه والحديث والتفسير وغيرها .(٣). ومما امتازت به هذه المدارس أنها كانت بمثابة التعليم العالي في الوقت الحاضر لا يلتحق بها إلا النابهين من طلاب العلم ، لذا كان يعتني بانتقاء خيرة العلماء للتدريس فيها.

- **الأسلوب الذي انتهجه ابن حجر في التدريس** :

على الرغم من أن طريقة الإلقاء كانت شائعة في التدريس ومعتمدة سواء في عصر ابن حجر و العصور التي سبقته إلا أنه اختط لنفسه منهجا تدريسيا

---

(١) شاكر محمود عبد المنعم ، ابن حجر العسقلاني مصنفاته ودراسة في منهجه وماورده ي كتابه الإصابة مرجع سابق ، ج١ ، ص٦٦

(٢) المرجع السابق ، ص٧١

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٣.

مغايرا جعل من دروسه عامل جذب لكبار علماء عصره فضلا عن الصغار والذين كانوا يحرصون على حضورها ، والسبب في ذلك يرجع إلى أن ابن حجر لم يكن عالما يتكئ على جودة الحفظ وسعته فحسب وإنما ضم إلى ذلك ذكاء وفطنة وفكرا متوقدا يميل إلى التحليل والتفسير والاستنباط حتى إن الإمام السخاوي وصف طريقته في طلب العلم وحفظ كتب العلماء بطريقة الأذكياء فقد كان يستعمل التأمل وصرفه همته نحو ما يروم حفظه (١) والمقصود أنه كان يستخدم طريقة (التركيز) على ما يريد حفظه ،وهي طريقة فذة في تحقيق الهدف المراد بأسرع وقت ممكن وبأحسن النتائج ، وعلماء التربية الآن يروجون لها على نطاق واسع وهي ليست طريقة للحفظ فقط وإنما للفهم ولتحقيق الأهداف وإنجاز أمور لا يتأتى إنجازها إلا من خلال ذهن خال مجتمع بعيد عن مشتتات الانتباه ،فإذا أصبح يسير في مساق واحد سهل عليه بلوغ مراده أيا كان. ولأن الإمام ابن حجر كان ممتلكا لهذه المهارات فقد وظفها في دروسه من خلال ما يلي :

- كان يحرص على الإبقاء على أذهان طلابه متقدة معه ،منسجمة مع دروسه من خلال استخدام أساليب التشكيك والنقد ،والتحليل والاستنباط .(٢)
- لفت انتباه طلابه لمشكلات فكرية متعددة يستثير بها أذهانهم ويساعدهم على توظيف ما يتلقونه من معلومات في مواقف جديدة مشابهة .
- في مجالس الإملاء التي كان يعقدها كل ثلاثاء كان يحرص على طرق موضوعات مختلفة عادة ما تكون وثيقة الصلة بوقائع عصره ،ومشكلات المجتمع الذي يعيش فيه ، وهذا مما يدلل على أنه كان شديد العناية بجعل فقه طلابه فقها مستندا لفهم واقعهم المعاصر وليس فقها سابحا في الخيال مبنيا على الافتراضات ، بعيدا عن العمومية والمثاليات . (٣)
- كان منصفا رجّاعا للحق ولو كان الحق مع طلابه ،ولا يتعالى على العلم مهما كان مصدره .
- من الأساليب التي يلجأ إليها أنه ربما كتب عن بعض تلاميذه أو أقرانه ممن هم أقل منه علما ،وربما ناقشه وزاده أو ربما كان في بعض المواطن يقصد بذلك إفادة مجالسه بطريقة غير مباشرة ،وقل أن يلتفت لذلك أحد . (٤)

- **رابعا** : **الإشراف على المدارس** :

تولى ابن حجر مشيخة عدد من المدارس منها : البيبرسية ،الصلاحية ، ومما امتازت به المدارس في عصره أنها كانت مدارس وقفية وقفها أصحابها على طلبة العلم وجعلوا لها من الأوقاف ما يضمن استمرارها وبقاؤها ،وكان من أشهر تلك المدرس ما أوقفه الأمراء الأيوبيين ،ومن بعدهم المماليك . وقد كان ابن حجر أثناء توليه مشيخة هذه المدارس حريصا على الأوقاف واستمرار عملها

(١) السخاوي ، مرجع سابق ، ص١٢٣-١٢٤
(٢) المرجع السابق ، ص١٣٣
(٣) المرجع السابق ،ص١٣٠
(٤) السخاوي ، مرجع سابق ، ص٦١٠

كما أوصى موقفيها ، وكان يتألم أشد الألم إذا وجد في ذلك إهمالا أو تهاونا من قبل القائمين عليها ،ومن ذلك " أنه اطلع على كتاب وقف (المدرسة الحسينية بالرملة) فوجد فيها مدرسا للتفسير وآخر للحديث ،ولم يجد بهما أحد بل كنا شاغرين من عهد الواقف ، فعندما علم ذلك التمس من الناظرين تقريره في التفسير وتقرير ولده في الحديث ،وأن يأذنا لولده في الاستتابة ففوضا إليهما ذلك ،وأظهر الندم على شغور الدرسين من حين الواقف وإلى زمنهما " (١)

فقام رحمه الله بشغل هذين الدرسين حتى وجد من يسد هذه الفجوة .

أيضا عرف بحرصه على مقتنيات هذه المدارس من الكتب والأوقاف الأخرى ففي المدرسة المحمودية ولما رأى خازن الكتب في هذه المدرسة غير أمين في عمله مهمل لما بين يديه من الكتب فقد فقدت المكتبة ما يقارب اربعمائة كتاب من أصل أربعة آلاف كتاب ،لذا قام ابن حجر بعزله وأخذ مكانه واعتنى بالكتب والتي كانت من نفائس الكتب وأندرها ، ثم قام بترتيبها وفهرستها ، فعمل لها فهرستين إحداهما على الأبواب والأخرى على الحروف ، وقد استطاع استعادة عدد من تلك الكتب المفقودة ، واستمر في تلك المكتبة حتى وفاته . (٢)

هذا بعض ما تيسر الوقوف عليه من الجهد التربوي للإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله ، وقد كان جهدا متنوعا ظهر فيه الإخلاص لله تعالى وحب نشر العلم . وبذل الوقت والجهد في تحقيق النفع والفائدة لعامة المسلمين ،وهذا دأب العلماء في كل عصر ومصر ممن رزقوا العلم والإخلاص.

- **الخاتمة**:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ... والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد أن استعرضنا بعضا من جهود عدد من علماء الحديث الكبار ، وما بذلوه من وقت وجهد في سبيل النهوض بالبنيان التربوي للأمة الإسلامية ، نلمس من ذلك الجهد ما حواه من معاني الجدة والابتكار والموائمة مع مقتضيات العصر ، وحاجات الناس ، وأن تلك الجهود عندما تقيم في ضوء عصرها ومعطياته فإنها تأخذ حجمها وقيمتها الحقيقية ويمكن تلخيص أبرز تلك الجهود في التالي :

- تأسيس أول مدرسة فكرية تقودها امرأة في العالم الإسلامي ، وقد أسستها أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .
- أن مدرسة أم المؤمنين عائشة كان روادها من النساء والرجال ، وهو ما يعد تأسيسا لقاعدة جواز تلقي العلم على يد النساء .
- عنيت أم المؤمنين رضي الله عنها بتوسيع قاعدة مدرستها التربوية من خلال تعليمها لصنفين من التلاميذ وهم العامة من النساء ، وخواص طلبة العلم من النساء أو الرجال ، وبلغة العصر الطلاب النظاميين وغير النظاميين .

---

(١) الإمام السخاوي : الجواهر والدرر ، مرجع سابق ، ص ٥٨٩.
(٢) السخاوي ، ص ٦٠٩-٦١٠، شاكر عبد المنعم ج١ ، ص١٥٥

- تزعم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تأسيس مدرسة الاجتهاد في ضوء الكتاب والسنة ،والتي عرفت فيما بعد بمدرسة الرأي ، ووضع لهذه المدرسة أسسا رصينة من الكتاب والسنة .
- نجح ابن مسعود في تأهيل طلابه للوصول لمستوى أهداف هذه المدرسة الوليدة في العالم الإسلامي ، واستطاع تلاميذه تطبيق الأسس التي تعلموها على يديه في واقع الحياة مما كان له أبلغ الأثر في ذيوع صيت هذه المدرسة .
- استطاع الإمام البخاري من خلال تكريس جهده ووقته أن يخرج للأمة كتابا صدقا وصحيحا يعد مرجع تربوي أساس يمثل جانبا كبيرا من السنة النبوية المصدر الثاني للتربية الإسلامية .
- أبدع البخاري في تأليف كتاب تربوي معني بالأخلاق بالاعتماد على جمع نصوص السنة المتعلقة بذات الموضوع في مكان واحد وهو جهد تربوي مبتكر في عمر التربية الإسلامية في وقته ،وقد جرى على سيرته عدد من العلماء فيما بعد .
- قدم الإمام الذهبي رؤية نقدية لأحوال التربية والتعليم في عصره بشكل عميق ودقيق استشعر جوانب القصور والخلل التي أدت إلى الجمود والتراجع العلمي والتربوي في ذلك العصر وقدم حلول وآليات صاغها بمقاييس وخبرات أهل عصره .
- مثل الإمام ابن حجر نموذج المربي الفذ من خلال سلوكه مع أهله وتلاميذه ومن خلال عنايته بالمدارس التي تولى الإشراف عليها .
- أبدع ابن حجر في طرق التدريس وابتكر من الأساليب ما لم يكن معهودا قبله مما جعل حلقاته قبلة لطلاب العلم .

هذا بعض ما استطاعت الباحثة أن تستخلصه من سير أولئك العظماء وهو جهد المقل ، وحيلة الضعيف ،ولكن حسبي أني بذلت في ذلك وسعي بما يتوافق والفترة الزمنية المتاحة .

- **المراجع** :
- **أولا** : **الكتب** :

أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ط٤ ، در الكتاب العربي : بيروت ، ١٤٠٥،٢

أحمد بن محمد الكلاباذي ، الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد ت: عبد الله الليثي ١٤٠٧هـ، ج٢(رجال صحيح البخاري

أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط١، دار الجيل – بيروت ،١٩٩٢م

أحمد بن شعيب النسائي ، فضائل الصحابة ، ط١ ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٤٠٥هـ

أبو شامه عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي. الروضتين في أخبار الدولتين. تحقيق محمد حلمي أحمد، القاهرة، ١٩٤٧م

ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم، وفيات الأعيان في تاريخ أهل الزمان. تحقيق محمد محي الدين، القاهرة، ١٩٤٨م

حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي ، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ط١ ، دار القبلة : جدة

سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي ، التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ، تحقيق : د. أبو لبابة حسين ، الطبعة : الأولى دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض ،١٩٨٦م ، ج٣ ص١٢٩١.

شاكر محمود عبد المنعم ، ابن حجر العسقلاني : مصنفاته ودراسة في منهجه وموارده في كتابه الإصابة ، ط١ ، مكتبة دار العلوم :المدينة المنورة ١٤١٧هـ

عبد الرحمن النحلاوي ، من أعلام التربية الإسلامية (الإمام الذهبي) ، مكتب التربية لدول الخليج العربي : الرياض

عبد الستار الشيخ ، عبد الله بن مسعود ،ط١ ، دار القلم : دمشق ،١٤٠٢هـ

عبد المنعم الحفني ، موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ، ط١ ،مكتبة مدبولي : مصر ٢٠٠٣م

ماجد عرسان الكيلاني : تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ط٢ ، دار ابن كثير دمشق ١٤٠٥هـ

محمد بن أحمد الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، بيروت : دار إحياء التراث العربي

محمد ابن أبي بكر ابن القيم ، أعلام الموقعين عن رب العلمين ،دار الجيل : بيروت

محمد جمال الدين القاسمي ، حياة البخاري : تحقيق : محمود الأرناؤوط ، دار النفائس : بيروت ، ١٤١٢هـ

محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، تحقيق: إبراهيم عبد المجيد ، ط١ ، دار ابن حزم ك بيروت ١٤١٩هـ

محمد بن سعد الزهري ، الطبقات الكبرى ، دار صادر : بيروت محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، الطبعة : التاسعة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة - بيروت – ١٤١٣

محمد حسن العمايرة ، الفكر التربوي الإسلامي ، ط١ ، دار المسيرة : عمان ١٤٢١هـ

محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث. مطابع دار التراث العربي، (د.ط) ١٤٠١هـ.

- **ثانيا : المواقع الإلكترونية :**

موقع الألوكة الإلكتروني ، عبارات توثيق الفئة الأولى من المحدثين الثقات

ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، نسخة إلكترونية ، موقع الوراق ، www.alwaraq.com

أهمية الأدب في حياة المسلم ، موقع طريق الإسلام .www.islamway.com

منتديات الملتقى العلمي القطري ، مدارس التفسير في عصر الصحابة والتابعين . www.meqatari.com

****